ملامح تهميش الهوية العربية في الرواية العبرية المعاصرة (امبراطورية زمرى- بيكاسو) لشلومو نيسان انموذجا

م.د. عصام علي خلف- كلية الاداب –جامعة الانبار
ramiisam2012@yahoo.com

المستخلص

إن الصراع العربي الاسرائيلي، قد جعل المجتمع الإسرائيلى موحداً إلى حد ما فى مواجهة الخطر الخارجى، بينما في حقيقة الأمر أنه أخفى خلافات حادة متغلغة داخله ؛ لأن من شأن سلام دائم وشامل مع العرب أن يفتح من جديد ملف القضايا الاجتماعية – الثقافية فى إسرائيل ، وقد اتضح ذلك بشكل جلي من خلال تنامي رغبة إسرائيل بطمس الهوية العربية أملاً منها في أن يؤدي هذا الأمر إلى حل مشكلة الهوية داخلها، وخاصة بعد أن أسهمت عدة تطورات إقليمية في السنوات الخمسين الأخيرة عززت مطالبة المجتمع العربى فى إسرائيل بالاعتراف بهويته الوطنية وحقه في استعادة ارضه المغتصبة.

الكلمات الرئيسية: الرواية العبرية المعاصرة، الهوية العربية، شلومو نيسان

Abstract

The Arab-Israeli conflict، has made Israeli society uniform to a certain extent in the face of external threat، while in fact it conceals sharp deep differences inside . Because of the affair lasting and comprehensive peace with the Arabs to open the new social issues - cultural profile in Israel. This has turned out clearly، through the growth of Israel's desire efface Arab identity in the hope that this will lead to solving the identity problem within it، especially after having contributed to several regional developments in the last fifty years، it boosted reinforced the Arab community

in Israel demanding the recognition of their national identity and their right to restore the usurped land

Keywords: Contemporary Hebrew Novel, Arabic identity, Shlomo Nissan

لاشك ان رغبة اسرائيل قد تطورت وتنامت بطمس الهوية العربية، والتقليل بل والتحقير من شأن العرب والمسلمين أملاً منها في أن يؤدي هذا الأمر إلى حل مشكلة الهوية داخلها، وخاصة بعد أن ساهمت عدة تطورات إقليمية في السنوات الخمسين الأخيرة في تشكيل المجتمع العربى فى إسرائيل، حيث القومية العربية فى الخمسينيات والستينيات وهزيمة الدول العربية في حرب ١٩٦٧م، والقوة المتزايدة لمنظمة التحرير الفلسطينية والاعتراف بها في الساحة الدولية، ونجاح الثورة الإسلامية في إيران، ونمو الأصولية في البلدان المجاورة، وحرب لبنان عام ١٩٨٢م، والانتفاضات الفلسطينية للأعوام ١٩٨٧– ١٩٩٣م ، اتفاقيات أوسلو، ومؤخراً انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠م، وغيرها من الصراعات والصدامات نتيجة الاحتكاكات المستمرة بين الطرفين .

"الهُوية" بين التعريف اللُغوى والاصطلاحى

يعتقد بعض الباحثين المحدثين أنه يجب أن لا تكون لنا هويات دائمة، وإنما فقط هويات مرنة، مؤقتة، ومتنقلة ومن جهة أخرى، فإن العلاقات العرقية ترتبط بالتسامح حيال الهويات الأخرى بدرجة الأمان التى تتمتع به المجموعة، ونظرة أفراد المجموعة حيال هويتهم. (١) وفي ضوء ذلك يعتبر تحديد المفاهيم بوجه عام من الأهمية بمكان، طالما ان هناك اختلاف حول المعنى المقصود والكامن من وراءها ، وخاصة عندما ترتبط هذه المفاهيم باليهود، والتناقضات

التى تميزوا بها على مر العصور، فيما يتعلق بموضوع هويتهم، وبناء على ذلك يكون من الضرورى تحديد تلك المفاهيم وعرضها وفقاً لسياق البحث وأهدافه،والقضايا المرتبطة بها وكالتالي:([٢])

أولاً : "الهُوية" لغة

هى حقيقة الشىء أو حقيقة الشخص المطلقة، والمشتملة على صفاته الجوهرية، وذلك منسوب إلى "هو"، ضمير الغائب المفرد المذكر، ولفظ "الهو الهو" لفظ مركب من هو، جُعل اسماً مُعرفاً باللام ومعناه الاتحاد بالذات ([٣]).

ويشير "ابن رشد" (٥٢٠ – ٥٩٥ هـ/١١٢٦ – ١١٩٨ م) بأن " "الهو هو" يُقال فى العدد وذلك فيما كان له اسمان كقولنا: أن محمداً هو أبو عبد الله، وبالجملة متى دل على شىء واحد بعلامتين، ومنه ما هو فى النوع كقولنا: إنك أنت أنا فى الإنسانية، ومنه ماهو فى الجنس كقولنا: إن هذا الفرس هو هذا الحمار فى الحيوانية. وهذا كله من قسمة ما بالذات"([٤]). وأن "هوية" تقال بالترادف على المعنى الذى يُطلق عليه اسم الموجود، وهى مشتقة من "الهو"، كما تُشتق الإنسانية من الإنسان. والهوية

ويشير "الشريف الجرجانى"(٧٤٠– ٨١٦ هـ / ١٣٣٩ – ١٤١٣م) فى كتابه "التعريفات"، الأمر المتعقل من حيث امتيازه عن الأغيار([٥]). والهوية بأنها الحقيقة المكتملة المشتملة على الحقائق إشتمال النواه على الشجرة فى الغيب المطلق، والهوية السارية فى جميع الموجودات ما إذا أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شىء ولا بشرط لا شىء([٦]).

اما تعريف الهوية عند "أبو نصر محمد الفارابى" (٢٦٠ – ٣٣٩ هـ/٨٧٤ – ٩٥٠م): هوية الشىء وعينيَّته وتشَخصه، وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، كلٌ واحدٌ"، كقولنا: "إنه هو" إشارة إلى هويته وخصوصيته، ووجوده المنفرد له، الذى لا يقع فيه اشتراك ([٧]).

لكن على الرغم من وجود أكثر من تعريف لـ"الهوية" فى اللغة، إلا أن هناك اتفاق على أمر واحد، وهو أن مفهوم "الهوية" يرتبط ارتباطاً مباشراً بكل ما يخص شخصية الفرد ووجوده، وأن "الهوية" فى اللغة العربية مصدر صناعى مركب من "هو" ضمير المفرد الغائب المعرف بأداة التعريف "أل" ومن اللاحقة المتمثلة فى ال "ي" المشددة وعلامة التأنيث أى "ة" .

ويقابل مصطلح "الهوية" فى اللغة العربية، كلمة "Identity"، "Identite" فى الإنجليزية والفرنسية، من الأصل اللاتينى وهو يعنى: مجموع المواصفات التى تجعل من شخص ما هو عينه شخصاً معروفاً. كما يقابل مصطلح "الهوية" كلمة "זהות" فى العبرية المشتقة من الجزر "זהה" الذى يعنى: طابق، ميَّز، شخَّص، أو عيَّن هوية (٨). وهو يعنى نفس المفهوم العام السابق، وهو أن الشخص هو نفسه مما يميزه عن أى شخص آخر ويختلف عنه . ونظراً لأنه لا يمكن فصل الفرد عن هويته، فلا يمكن فصل الهوية عن الواقع الاجتماعى الذى يعيشه الفرد، لذلك كان من الضرورى، استعراض مفهوم "الهوية" داخل هذا الواقع بكل ما يشتمل عليه من قضايا سياسية واجتماعية ودينية وسياسية وغيرها، خاصة من خلال وجهات نظر علماء النفس والاجتماع وهو ماسنتناوله فى التعريف الاصطلاحى للهوية .

ثانياً: "الهُوية" اصطلاحا

الهوية علاقة الشىء بذاته، فالشخص يكابد أو يصارع فى الهوية الأنا الخاصة به مع ذاته، وفقاً للمتغيرات التى تحدث له. وعند النظر الى الهوية من زوايا مختلفة، كعلم السياسة وعلم النفس والفلسفة والدين، فظهرت اتجاهات كثيرة فى دراسة الهوية، و ما يمكن أن تمثله الهوية نجد ان:

الهوية عن طريق "الشعور بالذات – الوعى الذاتى للأنا". أو أن الوعى الذاتى هو مصدر الهوية لكافة الناس، وعندما نتحدث عن هوية العقول فإننا فى

الغالب نستعير للعقول التسمية (هوية الأنا)، والتى نتعارك معها فى داخلنا، لقد أصبح (الاتحاد الغيبى للقوى الخارقة للطبيعة) هو مصدر الهوية للناس. ومن منطلق وجهة النظر الشكلية المنطقية ، الهوية فى قوله:" عقول يمكن أن تُقرأ متماثلة،والتى يمكن أن يُطْرَح بعضها محل بعض من خلال الحفاظ على معتقداتها"(٩).

والهوية هى الشفرة التى يمكن للفرد عن طريقها أن يُعرف نفسه فى علاقته بالجماعة الاجتماعية التى ينتمى إليها، ومن خلالها يتعرف إليه الآخرون، باعتباره منتمى إلى تلك الجماعة. وهى تنقسم إلى:

١- الهوية الجماعية: يحملها أعضاؤها الأفراد فى الجماعة، حيث تقوم عناصر زعامية مختلفة، وجماعات ثانوية فعالة بدور أكبر فى تحديد هوية الجماعة أكثر من سائر المنتمين إليها.

٢- الهوية الذاتية للفرد: تتأثر بالهوية الذاتية الجماعية(١٠).

كما أفرز علماء النفس والاجتماع العديد من التعريفات حول تحديد معنى واضح "للهوية". فهناك من يتناول الهوية باعتبارها "أنماط السمات التى يمكن ملاحظتها أو استنتاجها، والتى تميز شخصاً فى نظر نفسه، وفى نظر الآخرين"(١١).

ووفقاً لما حدده "ميللر" فينبغى أن نُميز بين الهوية الجماعية الموضوعية وهى: (السمات حسبما يدركها الآخرون)، وبين الهوية الجماعية الذاتية وهى: (إدراكه لنفسه فى نظر الآخرين)، وبين الهوية الذاتية وهى: (الإدراك الذاتى للفرد عن مقدار سماته)(١٢).

وتختلف الهوية عن العرقية، فالعرقية هى نسق عرقى يتكون من مجموعة من المراكز أو الأدوار تعتبر نماذج لسلوك الأشخاص الذين يرتبطون من خلال الزواج أو الانحدار من سلف مشترك. وقد يكون ارتباط الشخص فى هذا النسق عن طريق الأب، وقد يكون عن طريق الأم، وقد يكون نسق

القرابة ثنائى، حينما يكون الشخص مرتبطاً بطريقة متبادلة مع أقارب الأب والأم([١٣]).

كما يتم تعريفها غالباً على أساس معايير موضوعيه مثل: الخصائص البيولوجية، والجغرافية،واللغوية، والثقافية، أو الدينية. ولكن المعايير الذاتية تبدو أكثر أهمية من المعايير الموضوعية. وتعرف العرقية ببساطة: بأنها مسألة اعتقاد ذاتى بالسلالة المشتركة([١٤]).

ويُعد "البحث عن الهوية" ومحاولة رسم أبعادها من أكبر التحديات التى يجابهها الفرد، ذلك التحدى الذى يتجسد فى تساؤله المُلح: مَن أنا؟ والذى يُمثل جوهر الصراع فى مرحلة الشباب، تلك التى تتسم مساحتها السيكولوجية بثقل أعبائها الاجتماعية والنفسية([١٥]). من هنا كان لابد من فهم "الهوية" فى ضوء العديد من المتغيرات الثقافية، واللغوية، والاجتماعية، والسياسيه وغيرها، والتى تحيط بالفرد وتؤثر فى تشكيل هويته.

تأثير الصراع الإسرائيلى– العربى فى هوية الفرد فى إسرائيل :

إن تاريخ إسرائيل مرتبط منذ قيامها بالحروب المتعددة التى خاضتها ضد العرب ، وبما يجعل تلك الدولة تأخذ طابعاً مغايراً لجميع دول العالم، التى تحافظ على الحواجز الثابتة والتى تفصل بين الجهازين السياسى والعسكرى، أما فى إسرائيل فقد أزيلت جميع الحواجز التى تفصل بين هذين الجهازين، حتى بات من الصعب التفرقة بين كل ما هو عسكرى وكل ما هو مدنى . إن مرحلة ما قبل ١٩٧٣م حيث كان النصر فى ساحة القتال للجيش الإسرائيلى، ثم مرحلة ما بعد ١٩٧٣م حيث الإنجازات العسكرية التى حققتها الجيشان المصرى والسورى، واستمرار الصراع الإسرائيلى العربى، كل هذا كان بداية لحالة من الانكسار حلت بالدولة وبالهوية الإسرائيلية ([١٦]) .

" חבל שלא כולם זוכים בה. באשמתם ובעוונותיהם הרבים אינם זוכים בה. הוא .אשרי שזכה בה . ברוך השם .משום שנפקחו עיניו לחזור בתשובה וגם כן לחזוא מהגולה ארצה ארץ – ישראל . ארץ אבותיו במובן במבן העמק והכללי וגם במובן הפשוט האישי ביותר . שהורי הוריו אנשי ארץ–ישראל היו בשעתו.תושבי ירושלים

إن الصراع الإسرائيلى– العربى، وتعريف إسرائيل كدولة يهودية، هما عاملان مهمان يقرران طبيعة العلاقات بين الأقلية العربية، والأغلبية اليهودية فى إسرائيل، وتتميز هذه العلاقات بالتوتر والاحتكاكات المستمرة. وكانت الافتراضات الأساسية بعد تأسيس إسرائيل، أنه بسبب كون العرب في إسرائيل أقليه قومية، وهم جزء لا يتجزأ من العالم العربى، ويرتبطون به عاطفياً وقومياً، فإنهم يشكلون خطراً أمنياً علي كيان دولة إسرائيل. لذلك كان مفهوم ولاء العرب للدولة موضوع شك قوى، حيث يكمن فيها احتمال الخطر على شخصية الدولة الصهيونية (فى أفضل الأحوال) أو حتى على وجودها ذاته (فى أسوأ الأحوال) ([١٧]) .

" עדיין לא. אני עדיין לא מרגיש את עצמי לגמרי תושב כאן . באתי לארץ–ישראל בגלל האמונה, לא מפני שיש כאן מדינה של יהודים . אבל אתה . אצלך זה אחרת, אני מבין וגם מכבד. אצלך ההתגיסות זה בוודאי לא רק ענין של חובה אלא גם עניין של בחירה ומצפון. כרגע אני מציע לך רק לדחות את ההתגיסות שלך ולבואהלינו לירושלים،אם תרצה،אפשר לסדר את הענין.

وأدى الانشغال الواسع فى القضايا الأمنية المستمرة، إلى منع المناقشة الحقيقية لماهية وهوية الدولة، وأصبحت الشخصية العربية تمثل الخوف والفزع لليهود، ونتيجة لانعدام الأمان فقد زاد هذا من فقدان الهُوية داخل إسرائيل، فعدم شعورهم بالأمن والأمان الدائمين نتيجة للصراع الإسرائيلى–

العربى قد جعلهم لا يشعرون بهوية مستقرة، واضحة الملامح نتيجة لهذا الصراع.وقد عبَّر "نيتسان" فى الرواية، وبشكلٍ مجازى، عن حالتى الخوف والهلع التى باتت سمة رئيسة كل ليلة داخل إسرائيل. فيصف "ماموس" الحياة القاسية، غير الآمنة التى تعيشها إسرائيل كل يوم:

" אומרים שהיו שתיים, אומרים שלוש, עד היום לא ברור לגמרי. טוב שהמשמר האזרחי היה במקום ותיכף הזעיק את משמר הגבול. היו קצת יריות, שני מטענים התפוצצו. כל העיר שמעה, כל העיר התעוררה, וזהו " (١٨) .

" قالوا أنهم كانوا إثنين، وقالوا إنهم كانوا ثلاثة، وحتي الآن لم يتضح الأمر على الإطلاق، من الجيد أن الدفاع المدنى كان متوجداً فى المكان، وعلى الفور تم استدعاء قوات حرس الحدود، وكانت هناك بعض الطلقات، وتم تفجير شحنتين، بالطبع سمعت المدينة كلها الصوت، واستيقظت كلها، وهذا هو الهدف".

يرى "نيتسان" أن المقاومة العربية للاحتلال الإسرائيلى ليست سوى شر قد يأتى فى أية لحظة لزعزعة الاستقرار الإسرائيلى المزعوم، وبالتالى زعزعة هوية الفرد داخل إسرائيل :

" כך הלילה וכך בכל הלילות. משם ומכאן ומכל העברים עשויה הרעה להיפתח כל רגע, למה לא בדיוק ברגע הבא. עכשיו, אולי " (١٩) .

" هكذا مرت الليلة وهو الحال كل ليلة ، من هناك أو من هنا أو من كل صوب قد ينهال الشر فى أية لحظة ولما لا يكون في اللحظة القادمة ، الآن، ربما " .

لقد قصد الاديب بكلمة "الشر" العرب والمقاومة الفلسطينية. فهو يراها شراً يهدد الحياة في إسرائيل قد يأتي في أي وقت ودون سابق إنذار فالحياة داخل إسرائيل مخادعة بشكلٍ كبير، تبدو وكأنها دولة ذات هوية ثابتة مستقرة،

ولكنها في حقيقة الأمر غير ذلك، فانعدام الأمن والأمان يحيطها كل لحظه، وهو ما يعبر عنه "نيتسان" :

" תעיף מבט ותראה את הים הנוראי הנפלא הזה של כל הזמנים של כל הדורות של תמיד. וגם בכל הצבעים, תמיד כאן. מעמיד פני תם ענק ומוחק בערמומיות עקבות של אניות טרופות, של כל מיני פת"ח ... יש קרן מיוחדת לנזקי מלחמה וגם פת"ח הוא אוייב במלחמה، חודשיים של שקט והים מחק את כל העקבות וחזר לסורו להיות סתם ים כמו כל ים אחר בעולם" (٢٠) .

" لمحة سريعة وترى هذا البحر الرهيب العجيب دوماً على مر العصور والأجيال، وبكل الألوان، وهنا دائماً، يتظاهر بأنه عملاق بسيط ويمحو بمكر آثار السفن المتهورة التابعة لفتح وغيرها ... إلخ ... فهناك صندوق لكوارث الحرب و"فتح" هى عدو فى الحرب، مر شهرين من الهدوء ومحى البحر أية آثار، وعاد البحر لسابق عهده، مجرد بحر كأى بحر آخر فى الدنيا ".

قصد "نيتسان" بكلمة "البحر" "إسرائيل" وكأنها تقف صامدة أمام هجمات المقاومة الفلسطينية، والتي يراها الأديب بأنها عدو لإسرائيل يهدد هويتها وكيانها، ولكنه فى نفس الوقت يقول أن إسرائيل قادرة على أن تزيل آثار هذا العدوان، وتحافظ علي نفسها كأى دولة أخرى. فتلك الهجمات على إسرائيل هى التى سوف تجعلها تحافظ على وحدتها وهويتها .

ويستمر "نيتسان" فى وصفه لما حدث بعد الانفجار، وكيف أن البحر، المقصود إسرائيل، قد ابتلع كل من قام بهذه التفجيرات بداخله وكأن شئ لم يكن :

" האמבולנסים צפרו בקולי קולות, אבל הם באו לשווא, המשמר האזרחי ומשמר הגבול גמרו את הכל לפני שבאו, כל השאר בלע הים ולא נודע כי באו אל קרבו, הנבלות האלה מהפת"ח " (٢١) .

" دوت أصوات سيارات الإسعاف بضجيجها، ولكنها جاءت دون جدوى فقد أنهى الدفاع المدنى وحرس الحدود الأمر قبل أن تأتى، وابتلع البحر ما تبقى، ولم يعرف أنهم جاءوا حتى بالقرب منه، تلك الجثث من فتح ".

هذا الاحساس المزيف بالاستقرار سرعان ما تبدد، إن الأديب يتساءل (وربما كان "ماموس" نفسه فليس واضحاً من يتحدث) عن إذا ما كانت هناك لحظة شجاعة، فإن الاعتراف بالخوف من هذه الانفجارات التى تهدد الحياة واجب، وأينما تحدث فإن كل ما يهم أن لا تُصيب أحد بمكروه، فالبقاء علي قيد الحياة هو الأهم. فلا شك أن المقاومة الفلسطينية تهدد وجود وهوية إسرائيل، التى تسعى جاهدة لأن تستقر، فيعبر الأديب عن عدم الإحساس بالأمان والخوف الشديدين، نتيجة لهذه الانفجارات، وكذلك الرغبة الشديدة فى الحياة والتى تولدت مع هذه الأحداث :

"אם אך יש אומץ לב להודות בכך, מה הדבר הראשון שהלם בלב לשמע הבום הגדול הראשון, אם לא הבזק-קיומי של לא אני לא כאן, אולי מעבר לפינה , ברחוב אחר, לא בבית שלי, מחשכה רעה? מחשבה נחרצתילחיות: לא אני, לא כאן, לא בבית שלי. לא ברחוב שלי, וזה כבר אולי, זה-שם, כאיזה שם רחוק של אולי מאות אולי עשרות מטרים שנהפו ללא-כאן רחוק מאוד. כל כך, כמו בארץ אחרת בעיר שלך. לא צריך להתרעם, זה טבעי, לא? אל תאשים אותנו שאנחנו נפילים ממדינה אחרת, אנחנו לא, אם תרצה אנחנו בסך-הכל סתם, אבל לא יותר גרועים מאחרים, ולפעמים זה הרבה מאוד"([٢٢]) .

" إن كانت هناك الشجاعة علي الاعتراف بذلك – ماهو أو شئ انتاب القلب ما أن سمع دوى الانفجار الهائل لأول وهلة، أليس حب البقاء وأنه ليس أنا وليس هنا، ربما من الجهة الأخرى أو فى شارع آخر، وليس في بيتى. إحساس فظيع. حب شديد للعيش: بعيداً عنى وبعيداً عن هنا، ليس في منزلى،

ليس فى الشارع الذى أعيش فيه، وهذا يكفى. المهم – هناك، وأين هناك، ربما مئات أو عشرات الأمتار، والتى تعنى أن الحدث ليس هنا فهو بعيد جداً ، إلي هذا الحد – وكأنه فى بلد آخر داخل مدينتك. لا داعى للغضب فهذا أمر طبيعى، لا ؟ لا ندعى أننا جبابرة من بلاد أخرى فنحن لسنا هكذا. وإن شئت فنحن فى المجمل مجرد أناس ولكن لسنا أسوأ من الآخرين، وأحياناً يكون هذا زائداً عن الحد " .

إن حالة الانكسار فى الشخصية الإسرائيلية قد تم التعبير عنه في الجزء السابق بصورة واضحة، فحالة التمنى من أن يكون هذا الانفجار بعيد عن اليهود توضح مدى رغبة اليهود فى الحياة والعيش المستقر، وعلى الرغم من ملامح هذه الهوية، والتى ترى نفسها دائماً أعظم شعوب العالم، فقد انكسرت هذه الهوية بسبب تلك الأحداث، فيعترف الأديب بأنهم ليسوا جبابرة، وأنهم مثلهم مثل باقى الشعوب .

كما أن "بيكاسو" صاحب الإمبراطورية والثراء، قد عبَّر عن هذا الخوف الدائم، والشعور دائماً بالفزع نتيجة لانعدام الأمان داخل إسرائيل، حتي لو تظاهر الجميع بأنهم بخير فإن الواقع يفرض نفسه عليهم، مثلهم في ذلك مثل سكان قرى فى إيطاليا، حيث يعيشون بجانب بركان نشط قد يندلع فى أى لحظة مهدداً لحياتهم واستقرارهم :

" אם כי، מצד שני، בדרך כלל מפחדים גם כאשר לא מרגישים שמפחדים, בבוקר הוא אוכל חביתה משתי ביצים עם לחמניה טריה פריכה מאוד וספל קפה טוב והכל בנחת ובהנאה, ואפילו בכלל לא מרגישים כמה שמפחדים. אולי פעם יידעו... הרי אי–אפשר לחיות עשרים וארבע שעות בדממה, ולחשוב עשרים וארבע שעות שהנה הנה אולי אני נהרג. זה כמו תושבי הכפרים של הסטרומבולי، לא שמעת ؟

הר-הגעש האיטלקי، אני קראתי עליו פעם، גם שם בוודאי מרגישים כך הכפריים של הכפרים ההם " (٢٣) .

" ومع ذلك – من جهة أخرى _ فإننا نشعر بالخوف بشكل عام حتى عندنا نشعر أننا لسنا خائفين، فى الصباح تناول بيضتان مخفوقتان مع كعكة طازجة ومقرمشة جداً مع فنجان من القهوة الرائعة وبالهناء والشفاء ، وكأنهم لا يقدرون كم هم خائفين. ربما يدركون ذات مرة ... أليس من المستحيل أن تحيا أربع وعشرون ساعة فى اليوم وأن أتحسب أربع وعشرون ساعة أن أُقتل، ربما هنا أو هناك، إنما نشبه فى ذلك سكان القرى فى "سطرومبلى"، لم تسمع عنهم ؟ ذلك الجبل البركانى الإيطالى – بالتأكيد يشعر القرويون فى قراهم تلك – نفس الشعور أيضاً " .

يتضح مما سبق كيف أن المقاومة الفلسطينية تهدد وتفزع الوجود الإسرائيلى المحتل، وتهدد هويته. فعلى الرغم من أن "نيتسان" لم يذكر ولا مره أن هذه الأعمال التى يقوم بها الفلسطينيون هى من قبيل الدفاع عن أرضهم ووجودهم، بل وهويتهم العربية أيضاً، إلا إنه يكتفى فقط بوصف المعاناة والخوف والهلع الذى يصيب سكان إسرائيل مع كل انفجار، فوجودهم وهويتهم مهددة دائماً .

وفى حديث بعض حراس الأمن عن العرب والانفجارات التى يسمعونها كل لحظة، يظهر بوضوح كيف يتمنون أن يختفى العرب من الوجود، وأن يمنعون من المجئ إلى إسرائيل وأن يبقوا في أماكنهم ولا يتحركوا من هناك، فهذا هو الحل ليحيوا حياة هادئة ، وبالرغم من إحتياج اليهود للعرب للعمل عندهم فى أعمال مختلفة من أعمال بناء وتصلحيات وغيرها ...إلا أن رغبتهم فى التخلص من الخوف الذى يسيطر عليهم أقوى من أى شئ :

" זהו، מכאן מתחיל הכל. הבא להורגך، השכם והרגהו. אמת אמת، אך לא כל ערבי בא להרוג. כל ערבי שווה כדור. כל ערבי יש לו פגיון

בלב שלו. בייחוד אלה מהשטחים، לא צריכים אותם פה שיילכו להם. בכלל לא צריכים היו להביא אותם، שיישבו שם בשטחים שלהם וצה"ל לא ייתן להם לזוז. הם שם ואנחנו כאן וזהו، שקט. ככה، ומי יעבוד על הבניין، מי ינקה את הרחובות، יעבוד במסעדות، יתקן הכבישים، מי. מי שבנה את הנמל בתל–אביב، לא צריכים אותם ולא צריכים היו להביא אותם. אתה תעבוד؟ ואני אעבוד؟ אולי אלה שבאו מרוסיה יעבדו ؟ כבר יהיה מי שיעבוד، אם יהיה צורך، אל תדאג. לגרש. אני אומר، את כולם.... אי–אפשר ככה שאני אפחד כל רגע כל הזמן על הילדים שלי ... מתחיל להיות כמו פעם، בימי המנדט. אלה הורגים، הנציב העליון מצטער והמשטרה חוקרת. מה יש כאן לחקור ואיזו מדינה יש לנו שככה אנחנו פוחדים להוציא את האף שלנו החוצה " ([٢٤]) .

"هذه هى الحقيقة، فمن هنا يبدأ كل شىء، من يأتى لقتلك، فلتبادر وتقتله أنت([٢٥])، ولكن ليس كل عربى قدم إلى هنا للقتل، على كل حال فالعربى يساوى طلقة، ويحتفظ كل عربى معه بخنجر فى جوفه، وبخاصة أولئك من المناطق العربية المحتلة، إننا لسنا فى حاجه لهم أن يأتوا إلى هنا ويتحركوا على حريتهم، وما عليهم سوى أن يظلوا هناك فى المناطق الخاصة بهم، ولا يسمح لهم جيش الدفاع بالحركة. فطالما هم هناك ونحن هنا فنحن فى هدوء، هكذا الحال ومن يعمل في أعمال البناء؟ ومن يقوم بتنظيف الشوارع؟ ويعمل فى المطاعم؟ ويقوم بتصليح الطرق؟ من يبنى الميناء الجوى فى تل أبيب؟ ألسنا فى حاجة إليهم ... وتعمل أنت ؟ أم أنا ؟ أم أولئك الذين قدموا من روسيا سيقومون بالعمل؟ سيكون هناك من يعمل إذا كانت هناك ضرورة فلا تقلق. أم أقول لك: فلنطردهم جميعاً... فبهذه الطريقة يكون من غير الممكن أن أخاف على أولادى فى أية لحظة وفى كل وقت ... قد يبدو الأمر أحياناً وكأننا بدأنا عصر الانتداب، نجد قتلى ويتأسف المندوب السامى وتحقق

الشرطة، فى أى شئ تحقق وما الفائدة، وأى دولة نسكن فيها يملؤنا الخوف أن نُخرج أنوفنا إلى الخارج ".

إن هوية وكيان دولة إسرائيل مهددان دائماً بالزوال وهو ما أراد "نيتسان" التأكيد عليه فيما سبق، فالعرب الذين هم مصدر للقتل والذعر بين اليهود هم دائماً مسلحين ولابد من أجل الحفاظ علي هوية هذه الدولة أن يتم إبعادهم قدر الإمكان. كما يصور الأديب العرب وكأنهم عبيد يعملون عند أسيادهم فى أعمال متدنية لا تليق بشعب إسرائيل. ويتضح أيضا مما سبق أن هوية إسرائيل ليست مهددة فقط من قِبَل العرب، ولكنهم أينما ذهبوا فهم مهددون دائماً ويملؤهم الخوف والذعر، ولا يشعرون بالأمان .

" אך בימינו בייחוד היהודים ، את התשוקה הזאת להשתייך ، לחיות בצוותא ،לתת לתשוקה הזאת ביטוי בחיים משותפים .כאילו שהם נמלטים זה אל זה מאיזה אסון אני מתכוון ،לי ، שאינני מתכונן לקיים בנפשי ובגופי לא את המדינה של היהודים ، לא את היהודים עצמם כעם ، אני מדגיש : כעם ، כאנשים פרטיים ، כולם אחים שלי הרי גם אני יהודי ، לא ؟ לפחות במובן זה שלא הצהרתי כי חדלתי להיות יהודי".

ويمكننا القول بعد هذا التقليل من شأن العرب والهوية العربية فى الرواية، أنه لا يجب أن ننظر إلى الأديب "شلومو نيتسان" على أنه كائن معاد لأصول الواقع الصهيونى، لمجرد أنه ألقى الضوء على بعض زوايا القلق النفسى أو الفكرى، ولكننا يجب أن ننظر إليه على أنه يعكس بعض حالات التمرد النفسى والاجتماعى، دونما مساس بالسقف الأيديولوجى الصهيونى.

الاستنتاجات

يمكن القول ان النظرة إلى الشخصية الفلسطينية ومعالجتها في الأدب العبرى ما هى إلا انعكاس لتداعيات الصراع بين الفلسطينى أصحاب الأرض الأصليين فى فلسطين، وبين المستوطنين الصهونيين في بداية الصراع، ثم الإسرائيليين بعد قيام دولة إسرائيل. ولما كان الأدب العبرى أدباً مجنداً(٢٦) وموجهاً، فقد انتقلت هذه النظرة من الموقف السياسى، وانسحبت علي الأعمال الأدبية. فالصراع الذى بدأت تظهر بوادره بين الفلسطينيين وبين المستوطنين الصهيونيين فى بداية القرن العشرين، وبخاصة فى العقدين الأولين – حول الأرض والمياه – وما استتبع ذلك من نتائج أخذت تظهر على أرض الواقع المعاش، شكلت منظوراً يرتبط بتطورات هذا الصراع، ثم التعبير عنه فى الأعمال الأدبية. وقد عبرت الرواية العبرية عن صورة الفلسطينيين من خلال منظور يرتبط بمدى تأثير الصراع الإسرائيلى–العربى على تعميق الإحساس بفقدان الهوية، فقد سقط الفرد فى حيرة تجاه هويته فى بلد فى حالة حرب دائمة مع من حوله، لا يعرف متى ستنتهى؟!. من جهة أخرى نجد تعمد الأديب بين الحين والآخر على التقليل، والتحقير من شأن العرب، والمسيحية والإسلام، فى مقابل الإعلاء والسمو من شأن اليهودية، وإسرائيل، وبالتالى الإعلاء من شأن هوية الفرد داخل إسرائيل . (٢٧).

الهوامش والملاحظات

(١) أمارة (د. محمد) ، اللغة والهوية فى إسرائيل، مرجع سابق، ص١٨.

(٢) لارين (جورج)، الأيديولوجيا والهوية الثقافية–الحداثة وحضور العالم الثالث، مرجع سابق، ص ٢٤–٢٥–٢٦

(٣) معلوف (لويس)، المنجد، فى اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بدون تاريخ، ص ٩٦٧.

(٤) القرطبى (العلامة أبى الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد)، رسائل بن رشد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٩٤٧م، ص ٢٤ .

(٥)منير(د. وليد)،نص الهوية، قراءة فى"محمود درويش"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م،ص٣٧.

(٦) الجرجانى(على بن محمد بن على)، كتاب التعريفات، نقلاً عن:

http://www.islamicbook.ws/adab%5Cla/altarifat-.pdf/1/1/2009

(٧) بين الهوية والثقافة " مفاهيم – تعريفات وآراء نقلاً عن:

http://www.cpas-1/1/2009

egypt.com/pdf/Madiha_abd_elsattar/Ms.c/002.pdf/

(٨) سجيف(دافيد)، قاموس عبرى-عربى للغة العبرية المعاصرة، المجلد الأول، دار شوكن للنشر،القدس، تل أبيب ١٩٩٠م،ص٤٨٤-٤٨٥ .

(٩) האנציקלופדיה העברית ، ספרות ، כללית، יהודית، וארצישראלית، כרך ששה-עשרה، ירושלים، תל-אביב ، 1974 ،זהות، עמ' 629 .

(١٠) الشامى (د.رشاد عبد الله)، إشكالية الهوية في إسرائيل، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٧، ص٧.

(١١) المرجع السابق، ص٨ .

(١٢) المرجع السابق، ص١٠ .

(١٣) غيث (محمد عاطف)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٦٦م، ص٢٦٣ .

(١٤)أمارة (د. محمد)، اللغة والهوية فى إسرائيل،المركز الفلسطينى للدراسات الإسرائيلية، فلسطين٢٠٠٢م،ص١٧

(١٥) علوان (أمل حسن عبد المجيد)، حالة الهوية، مرجع سابق، ص٢٢.

(١٦) أبو غدير (أ.د. محمد محمود)، حاضر ومستقبل الصراع وتحديات السلام، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، المجلد الخامس، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٢٢.

(١٧) أمارة (د.محمد) ، اللغة والهوية فى إسرائيل، المرجع السابق، ص٩٤.

(١٨) ניצן (שלמה)، שם، עמ' 9.

(١٩) ניצן (שלמה)، שם، עמ' 9.

(٢٠) שם، עמ' 16.

(٢١) ניצן (שלמה)، שם، עמ' 17.

(٢٢)שם، עמ' 17.

(٢٣) ניצן (שלמה)، שם، עמ' 37.

(٢٤) ניצן (שלמה)، שם، עמ' 199.

(٢٥) "من يأتى لقتلك، فلتبادر وتقتله أنت" "הבא להורגך השכם להורגו": مقولة شائعة فى كتب التراث اليهودى، سواء التلمود أو كتب التفاسير اليهودية (المدراشيم)، تسمح للشخص اليهودى أن يدافع عن حياته وينجو بنفسه بقتل من يمثل خطورة عليه. ويستندون فى ذلك على ما ورد فى فى سفر العدد (١٧/٢٥): "ضايقوا المديانيين واضربوهم، لأنهم ضايقوكم بمكابدهم التى كادوكم بها. أنظر: הבא להורגך השכם להורגו، نقلاً عن:
http://he.wikipedia.org/wiki/1/1/2010

(٢٦) الأدب المجند ספרות מגויסת: أطلق اسم "المجند" على الشعر الفرنسى الذى ظهر أثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها، والذى اعتبر نفسه مجنداً ضد النازيين، أما فى الأدب العبرى، فقد كانت السمة الغالبة له قبل عام ١٩٤٨م، هى سمة الأدب المجند، عن طريق الالتزام بالبعد عن إبراز أى نوع من التناقض بين الأيديولوجية الصهيونية، وتجربة الفرد فى واقع الحياة، والسعى لخلق مبررات لها، من تبرير رفض الاندماج، عن طريق التركيز على ادعاءات "العداء للسامية"، وتبرير اختصاب فلسطين من العرب، مما جعل هذا الأدب أدباً ذا موضوعات جاهزة سلفاً. أنظر: العكش (د.سعيد عبد السلام)، دراسة معجمية لمصطلحات الأدب، ص٣٤٤ .

(٢٧) وهب الله (د. عبدالوهاب محمود) ، ملامح التطور فى صورة الفلسطينى بعد الإنتفاضة الفلسطينية من خلال رواية "أخدوعة תעתעון" ليتسحاق بن نير، رسالة المشرق، المجلد الخامس، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٥٤.

قائمة المراجع

١- أبو غدير (أ.د. محمد محمود)، حاضر ومستقبل الصراع وتحديات السلام، رسالة المشرق، مركز الدراسات الشرقية، المجلد الخامس، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٢٢.

٢- أمارة (د. محمد)، اللغة والهوية فى إسرائيل،المركز الفلسطينى للدراسات الإسرائيلية، فلسطين٢٠٠٢م،ص١٧

٣- الشامى (د.رشاد عبد الله)، إشكالية الهوية في إسرائيل، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٩٧، ص٧.

٤- سجيف(دافيد)، قاموس عبرى-عربى للغة العبرية المعاصرة، المجلد الأول، دار شوكن للنشر،القدس، تل أبيب ١٩٩٠م،ص٤٨٤-٤٨٥ .

٥- علوان (أمل حسن عبد المجيد)، حالة الهوية، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كليةالاداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٨.

٦- غيث (محمد عاطف)، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية ١٩٦٦م، ص٢٦٣ .

٧- لارين (جورج)، الأيديولوجيا والهوية الثقافية-الحداثة وحضور العالم الثالث، مكتبة المدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٢.

٨- معلوف (لويس)، المنجد، فى اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، بدون تاريخ، ص ٩٦٧.

٩- منير(د. وليد)،نص الهوية، قراءة فى"محمود درويش"، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٣٧.

١٠- القرطبى (العلامة أبى الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد)، رسائل بن رشد، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٩٤٧م، ص ٢٤ .

١١- وهب الله (د. عبدالوهاب محمود) ، ملامح التطور فى صورة الفلسطينى بعد الإنتفاضة الفلسطينية من خلال رواية "أخدوعة תעתעון" ليتسحاق بن نير، رسالة المشرق، المجلد الخامس، القاهرة، ١٩٩٧، ص١.

١٢- الجرجانى(على بن محمد بن على)، كتاب التعريفات، نقلاً عن: altarifat- ./http://www.islamicbook.ws/adab%5Cl .pdf/1/1/2009

١٣- بين الهوية والثقافة " مفاهيم - تعريفات وآراء نقلاً عن:

٢٠٠٩/١/١ http://www.cpas-
/egypt.com/pdf/Madiha_abd_elsattar/Ms.c/002.pdf

١٤- האנציקלופדיה העברית ، ספרות ، כללית، יהודית، וארצישראלית، כרך ששה-עשרה، ירושלים، תל-אביב ، 1974 ،זהות، עמ' 629 .

١٥- ניצן (שלומה)، האימפריה הפרטית של זמירי- פיקאסו، ספרית פועלים ، תל- אביב ، 1982.